

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث عبد الله بن زَمْعَةَ -رضي الله عنه-: أنه سمعَ النبي -صلى الله عليه وسلم- يخطبُ وذكرَ

### النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

..... في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن لما كانوا أمة واحدة على دين واحد قد توافقوا عليه وهم على خطأ من سبقهم يسيرون صح نسبة ذلك إليهم، وإن كان الذي قاله أجدادهم.

فالحاصل أن هذا الرجل الذي انبعث لقتل الناقة، وترشح لذلك عزيز عارم، يعني أنه في منعة من قومه، قام بسرعة، **{إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}** [الشمس: ١٢]، أشقى ثمود، عزيز عارم يعني: ذو منعة، هذا العزيز، والعارم هو الرجل الشرير الشرس الذي يجترئ على الناس، ولا يبالي بهم. عارم أي: عارم في الشر، ذو عرامة، تقول: هذا غلام عارم، يعني: أنه شرس الطباع، فهذا الشقي الذي قتل الناقة كان بهذه الصفة.

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **{انبعث لها رجل عزيز عارم، منيع في رهطه...}**<sup>(١)</sup>.

يعني: أن قومه يمنعون، له جماعة، وله عشيرة تمنعه من أن يوصل إليه.

ثم ذكر النساء، يعني: النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر خبر الناقة في خطبته، وذكر في خطبته أيضاً النساء، فوعظ فيهن، يعني: وعظ الرجال في النساء، وذكرهم وأوصاهم بالرفق والحنو، وحسن الرعاية لهؤلاء النساء، فقال: **{يعمد أحدكم فيجلد امرأة جلد العبد}** يعني: أنه يضربها ضرباً مبرحاً، يعني: كما يضرب العبد، وفي بعض الروايات: **{عبد أو أمته}**، وفي بعض الروايات: **{الفحل}**<sup>(٢)</sup> يعني: ضرب الفحل، الفحل هو البعير، يضربها ضرباً عنيفاً.

قال: **{فعله يضاجعها من آخر يومه}** يعني: يجامعها، والمقصود بهذا -والله تعالى أعلم- أن هذا أمر لا يتأتى، ولا يليق بحال من الأحوال أن يجمع الإنسان بين النقيضين، يضرب المرأة ضرب الفحل، ضرب البعير، ضرب العبد أو الأمة، ثم في آخر النهار يعاشرها، والمعاشرة -الجماع- هي صورة تتبدى فيها إشراقات النفس، ويظهر فيها من معاني الحنو والمودة والرحمة والألفة والصفاء بين الزوجين ما لا يمكن أن يوصف، يعني: أعلى صورة يصل فيها الصفاء والود والرحمة -كما قال الله - عز وجل-: **{وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}** [الروم: ٢١]- هي حالة المعاشرة، ولذلك فإن من المعلوم أن المعاشرة تزيد في المودة، ولذلك إذا طال الانفصال بين الزوجين أو الهجر، أو كانت المرأة تمتنع من زوجها، أو مشغولة؛ لأنها موظفة أو

١- أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب [لتركبن طبقاً عن طبق] [الانشقاق: ١٩]، (١٦٩/٦)، برقم: (٤٩٤٢)، ومسلم،

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٢١٩١/٤)، برقم: (٢٨٥٥).

٢- أخرجه البخاري، كتاب الأدب (١٥/٨)، رقم: (٦٠٤٢).

نحو ذلك تسوء أخلاق الرجل، والرجل إذا تركها وأهملها وهجرها ساءت أخلاقها أيضاً، وهذا معروف، ولذلك فإن الكثيرين الذين يعانون من مشكلات في البيت وعدم استقرار وتوتر بينهم في كثير من الأحيان يكون هذا هو السبب، إما أن الرجل لا يحسن المعاشرة، فيقضي أربه وحاجته ثم لا يبالي بالمرأة، أو غير ذلك من الأمور التي يعرفها من يعرفها.

فالحاصل أن هذا جمع بين النقيضين، يضربها ضرب العبد أو الأمة، ثم في آخر النهار يضاجعها، هذا ما يتأتى، والمرأة هذه أيضاً لها مشاعر ولها أحاسيس، وهذه المعاشرة تحتاج إلى رغبة وإقبال ومحبة وما أشبه هذا، فإذا كان يضربها هذا الضرب ثم في آخر النهار يأتي ويضاجعها فهذا لا يتأتى من إنسان يعقل ويعرف ما يأتي وما يذر.

قال: ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة، ((لم يضحك أحدكم مما يفعل؟)) متفق عليه.

بمعنى أن النبي -صلى الله عليه وسلم- علمهم أمراً، وهو أدب من الآداب الرفيعة، وذلك أن الإنسان قد يحصل منه ما يحصل من الحدث في حضرة الناس -بمحضهم-، فمن الناس من يضحك، وهذا أمر خلاف الأدب، وهو يوقع هذا الإنسان الآخر في إحراج، لو أن الإنسان وضع نفسه موضعه لما ضحك، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لم يضحك أحدكم مما يفعل؟))، فهذا يصدر من كل إنسان، يحصل منه، وقد خلق الله -عز وجل- الناس بهذه الطريقة في حياتهم، فلماذا يضحك الإنسان على أخيه في أمر بدر منه؟! . فهذه آداب نبوية في المعاشرة بين الناس، وفي المعاشرة بين الزوجين، وأسأل الله -عز وجل- أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق وأقومها وأعلاها، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، اللهم ارحم موتانا واشفِ مرضانا، وعافِ مبتلانا، واجعل آخرتنا خيراً من دنيانا، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.